وكلها لم تحظ برد فلسطيني ملائم. ومع تكرار هذه المحاولات، و«نجاحها»، مرة بعد أخرى، والمرور عليها مرّ الكرام من قبل الفلسطينيين، تطورت من كونها اجراء «عادياً» لتتخذ ابعاداً خطيرة، مهينة ومذلّة، لم تنته بكوارث بسبب الصدف فقط لا غير. وتكفي امثلة قليلة في هذا الصدد؛ فخلال حرب لبنان، في صيف العام ١٩٨٢، وصلت الوقاحة بمن عرف آنذاك باسم وزير الدفاع الاسرائيلي، أرييل شارون، وهو احد كبار الارهابيين الاسرائيليين «المخضرمين»، الى قصف وتدمير أكثر من بناية في بيروت، بواسطة الطيران، وقتل جميع سكانها، لاعتقاده بأن ياسر عرفات موجود بينهم، وذلك في تصميم واضح ومحاولات مستمرة لقتله. وذلك اضافة، بالطبع، الى ان ذلك الارهابي تسبب في قتل الالآف خلال تلك الحرب. وكان من المتوقع ان يلقى شارون عقاباً على جرائمه تلك بعد انتهاء الحرب؛ الا ان شيئاً من ذلك لم يحدث. صحيح ان الرجل اقصي عن منصبه في اعقاب الحرب، وبسبب فشله فيها، ولكن ذلك تم نتيجة لتطورات وضغوطات اسرائيلية داخلية، لا علاقة للفلسطينيين بها. وبعد ان هدأت الزوبعة، عاد هذا الارهابي الى الصعود ثانية في سلّم الزعامة الاسرائيلية؛ وهو، حالياً، واحد ممن يتنافسون على زعامة الليكود، احدى الكتلتين الحزبيتين الكبيرتين في اسرائيل.

وهذه «الجرأة» الشارونية مهّدت لـ «جرأة» أخرى، رابينية هذه المرة، وأكثر اندفاعاً في صلفها. ففي ١/١٠/١٩٨٥، ورداً على مقتل مواطنين اسرائيليين في لارنكا بقبرص، قامت الطائرات الاسرائيلية، مباشرة، بقصف مقر رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، دون غيره، في تونس، مما ادى الى سقوط نحو ٦٠ شهيداً. بل ان رابين صرح، على الاثر، بأنه كان على علم بأن عرفات كان من المفترض ان يكون في المقر عند قصفه. ولكن بعد ان لُفت نظره الى خطورة مثل هذا التصريح عدّله بعد ساعة، موضحاً انه لم يكن على علم بذلك. اما تعليقات رئيس اللجنة التنفيذية نفسه على الحادث، فتشير الى انه لم يكن في مقره عند قصفه نتيجة للصدفة فقط.

وقبل وقوع هذين الحادثين، وبعدهما، وحتى بعد صدور «اعلان القاهرة» الذي تعهدت م.ت.ف. بموجبه ايقاف العمليات العسكرية ضد الاهداف الاسرائيلية خارج المناطق المحتلة، تم اغتيال عدد من المناضلين الفلسطينيين، وخصوصاً في أثينا، عاصمة اليونان. فالعلاقات الفلسطينية ـ اليونانية، ما شاء الله، «ممتازة» للغاية؛ ولكن يبدو ان علاقات بعض اليونانيين مع الموساد ممتازة أكثر، بحيث يتم، كما يبدو، استدراج المناضلين الفلسطينيين الى أثينا، وهنالك يصفون، الواحد تلو الآخر، ولا من رقيب ولا من محاسب.

وأخيراً، وليس آخراً، جاءت عملية اغتيال القائد «أبو جهاد».

واستناداً الى «تراث» الماضي، لا يبدو ان هذه العملية ستكون الاخيرة.

*

* *

في تاريخ الصراع العربي ـ الصهيوني، المستمر منذ نحو ما يزيد على قرن من الزمن، عرف العرب عامة، والفلسطينيون خاصة، العديد من الهزائم والنكبات. بل انه يمكن القول، من مفهوم ما ووجهة نظر معينة، ان تاريخ ذلك الصراع، بمجمله، كان سلسلة من الهزائم العربية المتلاحقة.